دلالة السياق القرآني في فهم نصوص التحدي

The significance of the Quranic context in understanding the challenging texts

المدرس الدكتور: دلير علي صالح

Dr.Dler Ali Salih

جامعة السليمانية – كلية العلوم الإسلامية – قسم أصول الدين

University of Sulaimani College of lslamic Sciences
Department of principles of Religion

الكلمات المفتاحية: دلالة، السياق، نصوص، آيات، تفسير، التحدي.

Keywords: indication، context، texts، verses، interpretation، challenge.

الملخص :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين.

تحاول هذه الدراسة بيان المراد من التحدي في القرآن الكريم في قوله تعالى: [أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] (سورة يونس: 38)، وما يماثلها من آيات القرآن الكريم، تحاول أن يكون تفسير هذه الآيات على أساس الربط بين آيات التحدي بسياقها وربطها بمحور السورة التي وقع فيها التحدي، ثم ذكر آراء العلماء الذين أيدوا هذا المنحى لتفسير الآيات، وذلك بعد تعريف السياق والتحدي وبيان أهمية الموضوع، وفي الختام ذكرت أهم النتائج مع قائمة المصادر والمراجع.

Abstract :

Thanks to lord of world. Blessings and peace be upon the best of goods creature; (Muhammad) and all his followers.

This research tries to manifest the destination of (challenge ayah) in holly Quran. In ayah:

[أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] (سورة يونس: 38)، (Do they say that the messenger has himself composed the Quran? Say: In that case bring forth just one surah like it and call on all whom you are truthful). Surah Yuns، ayah 38 and it is corresponding ayah in Quran.

Tries to interpret all ayah according to the principle of connecting ayahs to the subject which the ayah came from and to the surah which that ayah came from.

It means : During interpreting (ayah)s، not to seclude the ayah from it is place and subject، rather to connect ayah to it is incident and consequent.

Also talking about savants viewpoints which they espouse this kind of interpretation.

All these after definition of (context) and talking about importance of the subject.

In the end I talked of the most important conclusion with sources list.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد: فإن للسياق أهمية بالغة في فهم النصوص ولا سيما نصوص القرآن الذي في أوج البلاغة والبيان، ونصوص التحدي في القرآن شأنها شأن بقية المواضيع في كونها بحاجة –لفهمها– إلى ارتباط آياتها بالمقطع الذي وردت فيه الآية، وارتباطها بمحور السورة، فإن تفسير القرآن الكريم من دون مراعاة سياق آياتها مما لا يجوز في قواعد التفسير، لأنه يؤدي إلى خلاف المراد كما سنبين ذلك في هذه الدراسة.

لذا حاولت متابعة هذه النصوص التي بها وقع التحدي، والسياق الذي وردت فيه هذه الآيات، ودلالة السياق على المعنى المراد، وقسمت بحثي إلى مبحثين:

المبحث الأول: في التعريف بالعنوان، وأهمية الموضوع، وذلك في مطلبين:

المطلب الأول: تعريف السياق والتحدي. والمطلب الثاني: أهمية الموضوع.

والمبحث الثاني: دلالة السياق القرآني في آيات التحدي، أيضا في مطلبين.

المطلب الأول: سياق آيات التحدي في القرآن الكريم.

والمطلب الثاني: دلالة السياق في المعنى المراد.

مشكلة البحث: إن مسألة التحدي في القرآن الكريم من المسائل التي ذكرت كثيراً في كتب التفاسير وعلوم القرآن وأصول الفقه في مبحث الكتاب–القرآن– وكتب مستقلة، وأبرز الذين يشار إليهم في الموضوع أبو عثمان الجاحظ (ت255هـ)، ومحمد بن يزيد الواسطي (ت307هـ)، وعلي بن عيسى الرماني (ت384هـ)، وأبو سليمان بن محمد الخطابي (ت388هـ)، وأبوبكر محمد الباقلاني (ت403هـ)، وعبدالقاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت471هـ)، وفخر الدين الرازي (ت 606هـ)، والزملكاني (ت651هـ)، وابن أبي الأصبع (ت 654هـ)، ولا يوجد خلال شروحهم وتفسيراتهم لآيات التحدي الربطُ بين آيات التحدي بما قبلها وما بعدها أو ربطها بمحور السورة التي وقع فيها التحدي، فيُستنتجَ من خلالها المعنى المراد من التحدي من قوله تعالى: [فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ] (سورة البقرة:23)، أهو من مثله في الفصاحة والبلاغة وحسن نظمه، أو في تأثيره على النفوس، أو في اشتماله على العلوم، أو في عدم الاختلاف فيه، أو في الإخبار عن الغيب، أو في التشريع، أو في التوحيد والهداية أو غير ذلك؟ ومع هذه الأهمية للموضوع قل اعتناء المفسرين به ولا سيما في موضوع التحدي، وكذا الحال فيمن ألّفوا في موضوع سياق القرآن أو نظام القرآن أو الوحدة الموضوعية للسور القرآنية أو تناسب الآيات–الذي هو جزء من السياق– نجد أن بعضهم غفلوا عن هذا الترابط الذي صنفوا الكتاب لأجله.

مثال ذلك كتاب "التفسير البنائي للقرآن الكريم للدكتور محمود البستاني)، و(النبأ العظيم للدكتور محمد دراز)، و(الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق للدكتورة خلود العموش) و(البرهان في نظام القرآن، للدكتور محمد أسد سبحاني)، و(نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم لمحمد الغزالي)، و(التفسير الواضح، لمحمد محمود الحجازي).

تحاول هذه الدراسة أن يكون تفسير هذه الآيات على أساس الربط بين آيات التحدي بسياقها وربطها بمحور السورة التي وقع فيها التحدي، ليُستنتجَ من خلالها المعنى المراد من التحدي.

أسأل الله تعالى أن يوفقنا ويجعل بحثي هذا نافعا لي في الآخرة.

المبحث الأول

التعريف بالعنوان وأهمية الموضوع

قبل الشروع في المقصود لابد من بيان مصطلح السياق والتحدي والمراد منهما ثم بيان أهمية السياق ليتضح المقصود وذلك يقتضي مطلبين:

المطلب الأول

تعريف السياق والتحدي

أولاً/ السياق لغة: مشتق من السوق، قال ابن فارس: "سوق: السين، والواو، والقاف أَصل واحد، وهو حدو الشيء. يقال ساقه يسوقه سوقا. والسَّيِّقة: ما استيق من الدواب. ويقال: سقت إلى امرأتي صداقها، وأسقته. والسوق مشتقة من هذا، لما يساق إليها من كلّ شيء، والجمع أَسواق. والساق للإنسان وغيره، والجمع سُوق، إنّما سمّيت بذلك لأنّ الماشي ينساق عليها. ويقال امرأَة سوقاء، ورجل أسوق، إذا كان عظيم السّاق، والمصدر السّوق"[1].

وقال الزمخشري: "ومن المجاز: هو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه أي: سرده، ويقصد بالسرد التوالي والتتابع"[2].

وجاء في معجم الوسيط: "سياق الكلام: تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه"[3].

نلحظ من هذه التعاريف: أنّ السياق هو المتابعة والتسلسل والانتظام في سلك واحد، كما يقال: "النكرة في سياق النفي تفيد العموم". أي في سرد النفي وعرضه وتتابعه.

ثانياً: السياق اصطلاحاً: تفاوتت أنظار العلماء في تعريف السياق اصطلاحاً، فنعرض آراء بعضهم في هذا البحث ليتضح التعريف.

قال ابن دقيق العيد: "أما السياق والقرائن فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه، وهي المرشدة إلى بيان المجملات وتعيين المحتملات"[4].

وعرَّف الدكتور نوح الشهري السياق بأنه: "مجموعة القرائن اللفظية والحالية الدالة على قصد المتكلم من خلال تتابع الكلام وانتظام سابقه ولاحقه به"[5].

وذهب تمام حسان إلى أن المقصود بالسياق: التوالي، ونظر إليه من ناحيتين: أولاهما: توالي العناصر التي تحقق التركيب والسبك والسياق، وهو من هذه الزاوية يسمى بـ "سياق النص"، والثانية: توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي، وكانت ذات علاقة بالاتصال، ومن هذه الناحية يسمى بـ "سياق الموقف"[6]، الذي يرادفه المقام والحال.

وذكر محمد أحمد أبو الفرج تعريفاً للسياق يشمل نوعيه، أي: السياق اللغوي–أي الإطار الداخلي للغة–، والسياق غير اللغوي–أي الإطار الخارجي للغة– بقوله: "هو مجموع ما يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح

المعنى، وقد يكون التوضيح بما ترد فيه اللفظة من الاستعمال، وقد يكون ما يصاحب اللفظ من غير الكلام مفسراً للكلام"[7].

والتعريف الذي أراه مناسباً مع دراسة سياق أيات القرآن هو انحصار التعريف في مجموعة القرائن اللفظية أي السياق اللغوي–أي الإطار الداخلي للغة–، أما السياق غير اللغوي–أي الإطار الخارجي للغة، أي توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي، من قبل المتكلم والذي يسمى بـ "سياق الموقف الذي يرادفه المقام والحال فهذا الجانب يتطلب مشاهدة المتكلم وأحواله فلا يتحقق أصلا مع القرآن الكريم لأن المتكلم فيه هو الله سبحانه.

تعريف التحدي:

التحدي لغة: "حدا: الحاء والدال والحرف المعتل أصل واحد، وهو السَّوق، يقال: حدا بإبله: زجَر بها وغنّى لها، ويقال للحمار إذا قَدَم أتنه: هو يحدوها، ويقال للسهم إذا مرَّ: حداه ريشه، وهداه نصله، ويقال: حدوته على كذا، أي سقته وبعثته عليه، ويقال للشَّمال: حدواء؛ لأنها تحدو السحاب، أي تسوقه، وقولهم: يتحدَّى فلاناً، إذا كان يباريه وينازعه الغلبة. وهو من هذا الأصل؛ لأنه إذا فعل ذلك فكأنه يحدوه على الأمر. يقال أنا حُديَّاك لهذا الأمر، أي ابرز لي فيه[8].

واصطلاحاً: دعوى وقوع المعجزة على وفق ما جاء به[9].

والتحدي –أي طلب المباراة والمعارضة– لا يتحقق إلا بـ:

1– وجود المقتضي، الذي يدفع المتحدي إلى المباراة.

2– انتفاء الموانع من المباراة[10].

فبين التعريف اللغوي والاصطلاحي مناسبة ظاهرة وهي المباراة والمغالبة.

المطلب الثاني
أهمية الموضوع

إن لمعرفة السياق أهميةً كبيرة في الكلام، إذ المتكلم لا يظهر مراده تماماً إلا بعد مراعاة السياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي، وقد ذكر بعض العلماء ذلك، ونقوم بعرض بعض هذه الأقوال حتى يتبين أهمية الموضوع، ثم نعقبها بعِدة أمثلة:

قال الإمام مسلم بن يسار عن أبيه: "إذا حدَّثت عن الله حديثاً فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده"[11].

وقال الإمام الشافعي: "وتبتدئ العرب الشيء من كلامها يبين أول لفظه فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله"[12].

وقال ابن الأنباري: "إنَّ كلام العرب يصحِّح بعضُه بعضاً، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين؛ لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يُراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد"[13].

والإمام ابن القيم يوضح ما قاله القدامى حول السياق بقوله: "السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته، فانظر إلى قوله تعالى: [ذُقْ إِنَّكَ أنت الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ] (الدخان: 49) كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير"[14]، هذه الأقوال لدليل على أصالة موضوع السياق، وليس الأمر كما زعمه بعض أنه مستحدث.

ومن المحدثين قال الإمام الفراهي: "إذا كثرت وجوه التأويل في آية كان الأمر كاشتراك اللفظ، والحاكم عند اشتراك اللفظ موقع استعماله، وهكذا عند اشتراك الوجوه في آية لا سبيل إلا بالنظر إلى موقع الآية، ومن هنا ظهرت شدة الحاجة إلى النظام، وعلة الاختلاف كثيرة لأنهم لم يراعوا النظام فتهافتوا على الروايات فخبطوا في العمايات"[15].

وقال جوزيف فندريس[16]: "إننا حينما نقول: بأن لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد في وقت واحد نكون ضحايا الانخداع إلى حد ما؛ إذ لا يطفو في الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذي يعينه سياق النص، أما المعاني الأخرى جميعها فتمحى وتبدد ولا توجد إطلاقاً"[17].

ويرى الدكتور تمام حسان أيضاً: أن الكلمة المفردة –وهي موضوع المعجم– يمكن أن تدل على أكثر من معنى وهي مفردة، ولكنها إذا وضعت في "مقال" يفهم في ضوء "مقام" انتفى هذا التعدد عن معناها، ولم يعد لها في السياق إلّا معنى واحد؛ لأن الكلام وهو مجلى السياق لا بُدَّ أن يحمل من القرائن المقالية–اللفظية–، والمقامية–الحالية– ما يعيّن معنًى واحدًا لكل كلمة. فالمعنى بدون المقام–سواء أكان وظيفيًّا أم معجميّاً– متعدد ومحتمل؛ لأن المقام هو كبرى القرائن، ولا يتعيّن المعنى إلّا بالقرينة[18].

والآن نختم هذا المطلب ببعض الأمثلة ليكون كالتطبيق لما قالوا:

– ثبت أن النبي (عليه الصلاة والسلام) قال لعائشة (رضي الله عنها) عندما سألته عن الآيَةِ: [وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ] (المؤمنون60) قالت: أَهم الّذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قَالَ: لا يا بنت الصِّدّيق، ولكنهم الَّذين يصومون ويصلّون ويتصدّقون، وهم يخافون أَن لا تقبل منهم [أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ][19]. (المؤمنون:61)، فهنا استدل النبي (عليه الصلاة والسلام) بختام الآية على المعنى المراد.

وسأل رجل علياً بن أبي طالب (رضي الله عنه) قائلاً: يا أمير المؤمنين، أرأيت قول الله [ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا] (النساء:141)، وهم يقاتلوننا فيظهرون ويقتلون؟ قال له عليّ: ادْنُه، ادْنُهْ! ثم قال: [فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا] يوم القيامة)[20].

ورُوي أنّ قارئاً قرأ: "غفور رحيم" –بعد قوله تعالى: **[فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ]**– فسمعه أعرابي فأنكره ولم يقرأ القرآن وقال: إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل، لأنه إغراء عليه[21].

نعم إذا راعينا السياق بدقة في التفسير نستفيد منه في تحديد المعنى المراد، فمثلاً في قوله تعالى: [وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة] (البقرة: 195) اختلف في معناه، فقال ابن عباس (رضي الله عنه) وغيره: معناه لا تمسكوا عن الإنفاق في سبيل الله فتهلكوا، وقيل: هي نهي عن الإياس من المغفرة عند ارتكاب المعاصي، روي ذلك عن البراء بن عازب، وعبيد السلماني وغيرهما[22]. فنعلم أن المعنى الأول هو الأصح إذ هو الموافق لسياق الآية، دون الثاني.

المبحث الثاني

دلالة السياق القرآني في آيات التحدي

المطلب الأول

سياق آيات التحدي في القرآن

إن كل موضوع من مواضيع القرآن الكريم –حين تُفسّر– بحاجة إلى معرفة سياق ذلك الموضوع حتى لا يرد اللبس، ومن هذا المنظور نشير في هذا المبحث إلى سياق آيات التحدي التي وردت في ست سور من القرآن الكريم، فنذكرها على ترتيب المصحف:

سورة البقرة، سورة يونس، سورة هود، سورة الإسراء، سورة القصص، سورة الطور.

ونكتفي في هذا المطلب بالإشارة إلى الموضوع الذي وردت فيه آيات التحدي من دون أن ندخل في تفسير آياتها، إلا إذا توقف فهم السياق إلى تفسيرها من الكلمات أو الجمل.

1– ففي سورة البقرة هكذا وردت، قال الله تعالى: [وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24)].

هاتان الآيتان وقع بهما التحدي في هذه السورة المباركة، ولا نريد أن ندخل في تفسير الآية؛ لأنه يطول بنا البحث، بل نقتصر هنا على سياق ما وردت فيه هذه الآيات.

لو نظرنا إلى المقطع الذي وردت فيه الآيتان نرى أنه بعد أن قسم الناس إلى ثلاثة أقسام: المؤمنين، الكافرين، المنافقين، يناديهم للعبادة، ويبين لهم توحيد الربوبية ثم يعقبها بتوحيد الألوهية كما يقول: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22)].

قال بديع الزمان سعيد النورسي: "ومن وجوه النظم أن القرآن لما أثنى على نفسه بجملة [ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين] ثم استتبع مدحه مدح المؤمنين، ثم استطرد مدح المؤمنين ذم الكافرين والمنافقين، ثم استعقب الأمر بالعبادة والتوحيد، عاد القرآن إلى الأول بالنظر إلى [لا ريب فيه هدى] أي: أما القرآن فليس قابلاً للشك والريب، فما ربوبكم إلا من مرض قلوبكم وسقامة طبعكم كما:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم"[23]

إذا نظرنا إلى هذه الآيات نرى أن السياق في مسألة التوحيد، وليس في سياق الآية شيء من مسائل البلاغة والبيان، نعم نصوص القرآن كلها في أوج البلاغة والبيان في ذاتها، أما ربط آيات التحدي بالبلاغة والفصاحة دون النظر إلى سياقها فلا وجه له، إذ القرآن كله في ذروة سنام البلاغة، فينبغي في فهم كل موضوع من مواضع القرآن الكريم مراعاة سياق ذلك الموضوع.

2- وفي سورة يونس يقول الله تعالى: [أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (38)]، هذه الآية التي وقع بها التحدي أيضاً كسابقتها وردت في سياق ذكر دلائل الآفاق والأنفس ليثبت حقانية أن الهدى هدى الله، فلنستمع للمقطع الذي قبلها، قال الله تعالى:[قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (31) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (32)] –أي: كيف تُصرفون عن التوحيد إلى الشرك[24]– [كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (33) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (34) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (35)]– ألا تعلمون أن من يهدي إلى الحق أحقُّ أن يتبع من الذي لا يهتدي إلى شيء، إلا أن يهديه إليه هادٍ غيره، فتتركوا اتّباع من لا يهتدي إلى شيء وعبادته، وتتبعوا من يهديكم في ظلمات البر والبحر، وتخلصوا له العبادة فتفردوه بها وحده، دون ما تشركونه فيها من آلهتكم وأوثانكم؟[25]. [وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (36) وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ]. المتضمن لهذا التوحيد. [أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ]. فالتوراة والإنجيل وكل الكتب السابقة بينت هذه الحقيقة[26]. [وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (37)].

3- وفي سورة هود يقول تعالى: [أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (13) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (14)] قبل أن نعرض سياق هذا التحدي ألفت النظر إلى آية التحدي نفسها حيث ربطت بالنتيجة–وهو عدم الاستجابة– بمسألتين مهمتين تعدان قصدا من التحدي وهما:

أنما أنزل بعلم الله، وألا إله إلا هو، ثم بعد إثبات هذه العقيدة يأمرهم بإسلامهم عن طريق الاستفهام: فهل أنتم مسلمون.

ولأن هذه السورة مشتملة على قصص كثيرة يتحداهم بعشر سور، أي: فأتوا بعشر سور مثلما في هذه السورة، أي مثل سورة هود، قال سيد قطب: "أما سورة هود فالقصص فيها هو جسم السورة، وهو وإن جاء شاهداً ومثالاً لتصديق الحقائق الاعتقادية التي تستهدفها إلا أنه يبدو فيه أن استعراض حركة العقيدة الربانية في التأريخ البشري هو الهدف الواضح البارز، وواضح أن قطاعات السورة بجملتها تتعاون وتتناسق في تقرير الحقائق الاعتقادية الأساسية وهي أن ما جاء به النبي والرسل–عليهم الصلاة والسلام– حقيقة واحدة موحى بها من الله سبحانه وهي تقوم على الدينونة لله وحده بلا شريك، والتلقي في هذه الدينونة عن رسل الله وحدهم والمفاصلة بين

الناس على هذه الحقيقة، ففي مقدمة السورة تجيء هذه الآيات عن حقيقة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم: [الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (1) أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (2)]، [أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (13) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (14)][27].

ولنذكر الآن المقطع الذي ورد فيه التحدي، لنستمع للآيات التي قبلها، قال تعالى: [وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (6) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (7) وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (8) وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (9) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (10) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (11) فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (12)]

في أوائل السورة يبين التوحيد بقوله: [أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ]، ثم يبين في الآية السادسة والسابعة أنه هو الرب فينبغي أن يكون هو الإله، ثم إثبات الحقائق الاعتقادية، وهو الإيمان بالمعاد وعذاب دنيوي للمعاندين، ثم الداعي هنا في موقف حرج، إذ لو يبين الحقيقة فهم يطلبون الماديات من الكنز والملك وغير ذلك، فيكاد يميل قلبه إليهم ويترك بعض الحقائق، وأخيراً يتهموا هذه الحقيقة بالافتراء، فعلى هذا الأساس يتحداهم، ويفحمهم.

4- وفي سورة الإسراء يقول تعالى: [قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88)].

ولنستمع للمقطع الذي قبلها [وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (81) وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (82) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا (83) قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا (84) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85) وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (86) إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (87)].

نرى أن من بين ما يؤذون الداعي ويحاملون أن يشغلوه به عن أداء واجبه سؤالات من مثل هذا السؤال (ويسألونك عن الروح) فيوجهه إلى اتخاذ الموقف الصائب كي لا يشغل بما يصرفه عن أداء واجبه، ويبين أنكم بعيدون عن أن تعلموا حقيقته، فربي الخالق الآمر حين أراد أن يأمر الإنسان نفخ فيه من روحه، فالروح منشأ لاستعدادات يُتلقى بها أمرُ الله، ويُتمكن من اتخاذ الموقف الصائب منه، وهذا القدر يكفي ولا فائدة بما وراء ذلك مما يتعلق بالروح، [وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ]، ماذا يتوقعون منك؟ أيتوقعون أن تعلم كل شيء! إنما أعطيناك ما تحتاج إليه من الهدى، وهذا القدر نحن قادرون على أن نسلبه إياك، فهذا توقع باطل أن يُتوقع أن يَعلمَ الرسولُ كلَّ شيء فيُسألَ عن الروح وما يماثله، فالرسول إنما أعطي ما يحتاجه في عبوديته وفي هداية

البشر، وهذا القدر منوط بمشيئة الله ولا يملك الرسول منه شيئا، ولا يطلع على ما وراء ذلك، فلا يجوز هذا التوقعُ إلا رحمة من ربك، رحمةُ ربك هيَ التي اقتضت أن يَبقى هذا الهدى، ولا يذهبَ به، ولا يُكنْ هذا الذي قلنا موهِماً أنّ الذي قد أوتيتَ من الهدى شيء هَيّنٌ وليس عظيماً، بل أقلُّ مما ينبغي أن يُؤتى الإنسان؛ لأن هذا الهدى هكذا: لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القرآن لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا، مثل هذا القرآن في بيان طريق السعادة وتمييز طرق الشقاوة[28].

وقال سيد قطب: بيان لوظيفة القرآن فهو شفاء ورحمة لمن يؤمنون، وعذاب ونقمة على من يكذبون، وبمناسبة الرحمة والعذاب يذكر السياق شيئاً من صفة الإنسان في حالتي الرحمة والعذاب، فهو في النعمة متبطر معرض، وفي النقمة يؤوس قنوط، ويقب على هذا بتهديد خفي بترك كل إنسان يعمل وفق طبيعته حتى يلقى في الآخرة جزاءه.

كذلك يقرر أن علم الإنسان قليل ضئيل وذلك بمناسبة سؤالهم عن الروح، والعلم المستيقن هو ما أنزله الله على رسوله وهو من فضله، ولو شاء لذهب بهذا الفضل دون معقب، ولكنها رحمة الله على رسوله، ثم يذكر أن هذا القرآن المعجز لا يستطيع الإنس والجن أن يأتوا بمثله ولو اجتمعوا وتظاهروا، ويعقب على آية التحدي بأن القرآن الذي صرف الله فيه دلائل الهدى لم يغن الكفار، فراحوا يطلبون خوارق مادية ساذجة كتفجير الينابيع وبيت من زخرف وطلب ما ليس من خصائص البشر كأن يرقى الرسول في السماء أمامهم ويأتي إليهم بكتاب مادي يقرؤونه أو يرسل عليهم قطعا من السماء تهلكهم أو يأتيهم بالله والملائكة قبيلاً.[29]

وقال سعيد حوى: إنّ الشيء الذي يتبادر إلى الذهن هو: أن هذا القرآن الذي هو علاج للقلوب والأرواح، ما كان ليكون كذلك لولا أنه من عند الله، وأن هذه الروح التي لا يعرف غير الله كنهها هو وحده الذي يضع النظام المناسب لها، فهذا الإنسان الذي لا يعرف نفسه يحتاج إلى هداية الله، ومن ثم أنزل الله هذا القرآن الذي لا يستطيع أحد أنْ يأتي بمثله، ومن ثم يختتم المقطع بهذه الآيات قال تعالى: [وَلَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ] المعنى إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف، فلم نترك له أثرا [ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنا وَكِيلًا إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ]؛ أي ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده وإعادته محفوظاً مسطوراً، إلا أن يرحمك ربك فيردّه عليك إِنَّ فَضْلَهُ كانَ عَلَيْكَ كَبِيراً في إنزال هذا القرآن، وحفظه عليك. فالقرآن إذن ليس مصدره بشريا، بل هو رباني حتى محمد صلّى الله عليه وسلّم لا يستطيع شيئا لو أراد الله أن يسلبه هذا القرآن[30].

نعم إن محور سورة الإسراء في بيان عناية الله بالعباد، ومن عنايته يؤتيهم الله الهدى، ثم يُفحم المعاندين الذين تصدوا لمجادلة هذا الهدى ويعقبه بالموعظة الحسنة ودفع الاعتراضات من قبل الكافرين من كون الرسول (صلى الله عليه وسلم) لا يستحق أن ينزل عليه الهدى، ويبينُ أن الأمر بيد الله، ويهدد الذين يخالفون من قد آتاه الله الهدى، ويبين أن الإنسان لا يستطيع أن ينجوَ من المؤاخذة، وينبغي أن يشكروا تلك النعمة ويثبتوا على ما قد هداهم، وكفر الكافرين ناشئ عن اعوجاج، ولكن الذين طبائعهم مستقيمة يؤمنون بهذا الهدى، وهذا الهدى كاف لهم[31].

5- وفي سورة القصص يقول تعالى: [قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (49)].

هذه الآية المباركة الصريحة في المراد بوجه التحدي حتى تحدت بالتوراة، إذ يقول: [فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا]، أي: يتحداهم الله بالإتيان بكتاب أهدى من القرآن أو التوراة، إذاً فالتحدي في كونهما مشتملين على الهداية لا على البلاغة والنظم، كيف لا وبحث التحدي بالبلاغة والنظم في التوراة مما لا قائل له، بل التحدي هنا وقع بشيء مشترك بينهما ألا وهو الهداية، وانظر ماذا يأتي بعد هذا التحدي مباشرة؟: [فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50)]

6- وفي سورة الطور يقول تعالى: [فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (34)]

هذه تأتي بعد ذكر دلائل الآفاق والأنفس لبيان مجيء العذاب، وبعد الموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، وبعد تخطئة آراء المنكرين للبعث، بعد كل ذلك يقول: [أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ] أي الآخرة لا تأتي-بزعمهم- [فَلْيَأْتُوا] لإثبات عدم يوم الدين [بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ] وأدلة مثل أدلة القرآن.

وفي سورة المرسلات يوضح معنى الحديث حيث يقول: [وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (48) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (49) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (50)]، أي: لا يمكن لمن لم يؤمن بهذا الحديث أن يؤمن بشيء آخر.

ولنستمع لمعنى الحديث إلى قول الله تعالى في سورة الجاثية، في أي مقام وَرَد؟ قال تعالى: [حم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (2) إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (3) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (4) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (5) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (6)] فالمقام واضح وجلي لا يريد التفسير.

أو إلى قوله تعالى في سورة القلم: [إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (34) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (37) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (38) أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (39) سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ (40) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (41) يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (42) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (43) فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ]-أي بما جاء به الرسول من أمر الآخرة وغيره[32]- [سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ(44)]

من هنا يظهر أن سياق آيات التحدي في السور الست في مسائل الهداية والتوحيد والمعاد ونفي الشرك، وينبغي ربط آيات التحدي بهذه المواضيع، أي بسياقها، ونخصص لهذا الربط مطلباً مستقلاً نبين فيه دلالة السياق في المعنى المراد.

المطلب الثاني

دلالة السياق في المعنى المراد

بعد بيان سياق آيات التحدي، نذكر أثر السياق على دلالة آيات التحدي، فنذكر قاعدتين لهما ارتباط بالموضوع:

1- القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه.

2- القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك[33].

فدليل القاعدة الأولى قوله تعالى في سورة يوسف: [وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (27) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (28)] حكم هنا اعتماداً على قرائن الحال وهي: قَدُّ القميص، مما يدل على اعتماد القرائن في الترجيح بين الأقوال، وكذا هو في تفسير كتاب الله وفهمه[34].

والقاعدة الثانية مثل تفسير قوله تعالى: [وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ] (البقرة: 23) من مثل القرآن؟ أو مثل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ والاختيار عند الطبري من مثل القرآن، دليله قوله تعالى:[أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ] سورة يونس38، قال: ومعلومٌ أنّ السورة ليست لمحمد بنظير ولا شبيه[35].

وكما أن المعنى الذي تؤيده الآية مقدم على غيره من المعاني فكذا الحال في آيات التحدي، فإن آية التحدي في سورة القصص [قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] جلية فيما تحدى به القرآن، ولذا يقدم هذا المعنى على غيره وفقاً للقاعدة.

ومجمل القول في وجه التحدي هو: أن السياق دليل على أن القرآن تحدى في أن يأتوا بمثل هذا القرآن في الهداية بكل جوانبها من التوحيد والنبوة والمعاد، وبمثل هذه السور التي فيها الهداية إلى التي هي أقوم، أي عليهم أن يأتوا بتصورات وقيم أخر قد بينت بمثل ما بين به تصورات وقيم هذا القرآن من آيات الآفاق والأنفس، لا يأتون بمثله، أي لا يقدرون على أن يأتوا على اعتقاداتهم وأحكامهم بمثل هذا القرآن، إذاً التحدي في أن الشرك وما يتعلق به من الانحرافات لا دليل يؤيده ويثبته مثل دلائل توحيد الله في هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وهذا التحدي يشمل التحدي في التشريع والأحكام التزاما؛ لأنها من مقتضى الألوهية وخصائصها.

والذي يؤيد ذلك أن هناك آيات أخر تتحدى في مقام انحرافهم في العقيدة ورد الشرك، أن يأتوا لإثبات شركهم بكتابهم لصحة دعواهم قال تعالى في سورة الصافات: [فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ (149) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (150) أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (151) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (152) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (153) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (154) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (155) أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ (156) فَأْتُوا

بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (157)] وقال تعالى في سورة القلم :[كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (33) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (34) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (37) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (38) أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (39) سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ (40) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (41)] وقال تعالى في سورة الأحقاف: [قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (4)].

وهذا الوجه من التحدي ليس بجديد فقد روى الطبري في تفسيره عن قتادة: عن قوله تعالى [فأتوا بسورة من مثله]، يعني: من مثل هذا القرآن حقًّا وصدْقًا، لا باطل فيه ولا كذب[36].

أما من المعاصرين الذين أيدوا هذا المنحى الدقيق فـ: المراغي (ت1371هـ)، وسيد قطب (ت1965م)، والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي (ت2013م)[37]، ومحمد رشيد رضا، (ت1354هـ)، وناصر السبحاني (ت1990م)[38] رحمهم الله.

فالمراغي في تفسيره يقول: "بين الله تعالى إعجازه من وجوه:

1- إن ما فيه من القصص موافق لما في التوراة والإنجيل مع أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان أمياً ولم يخالط أحداً من العلماء للاستفادة والتعلم، فلا يكون ذلك إذاً إلا من وحي إلهى من لدن حكيم خبير.

2- إن ما فيه من دلائل عقلية على التوحيد والبعث والنبوة والتشريع العادل المطابق لحاجة البشر في دنياهم وآخرتهم- لا يوجد له نظير في كتاب آخر، فلا بد أن يكون ذلك من عند الله.

3- إنه قد بلغ الغاية في الفصاحة والبلاغة حتى لم يستطع أحد أن يتصدى لمعارضته مع حرصهم عليها أشد الحرص، فدل ذلك على أنه خارج عن قوى البشر، وأنه من الملإ الأعلى ومن لدن خالق القوى والقدر".[39]

ويقول أيضا محمد رشيد رضا في تفسير قوله تعالى: [وما كان هذا القرآن أَن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين (37) أَم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين(38)] من سورة يونس:

"بعد ما تقدم من إقامة البرهان على أَن القرآن من عند الله، وأَن محمدًا – صلى الله عليه وآله وسلم – كان عاجزًا كغيره عن الإتيان بمثله في هدايته، وفي علمه ولغته – وما تلاه من إقامة الحجج على بطلان شركهم، وما بعده من بيان حالهم في اتّباع أكثرهم لأدنى الظن وأضعفه في عقائدهم وتكذيبهم – عاد إلى تفنيد رأيهم الأفين في الطعن على القرآن بمقتضى الظن الضعيف من الأكثرين، والجحود العنادي من الأَقلين، كالزعماء المستكبرين، فقال: [وما كَان هذا القرآن أَن يفترى من دون الله] النفي هنا للشأن الذي هو أَبلغ وآكد من نفي الشيء مباشرة كما تقدم مرارًا، وإن غفل عن ذلك من أَعربه إعرابًا آخر لقصر نظره على ظاهر اللفظ، دون ما يقتضيه المقام من المبالغة في الرد، أَي وما كان هذا القرآن العظيم في علوّ شأنه، المحلّى له في أسلوبه ونظمه، وعلومه العالية، وحكمته السامية، وتشريعه العادل، وآدابه المثلى، وتمحيصه للحقائق الإلهية والاجتماعية، وإنبائه بالغيوب الماضية والآتية، وجعل المقصد من إصلاحه ما بينه آنفا من اتباع الحق والهدى، واجتناب الضلال باتباع

الهوى، والاعتماد فيهما على العلم الصحيح – ما كان وما صح ولا يعقل أَن يفتريه أَحد على الله من دونه ويسنده إِليه; إِذ لا يقدر غيره عز وجل عليه"[40]

ويرى سيد قطب أن القرآن معجز ببلاغته وأسلوبه ومضمونه وهدفه وكونه منهجا للحياة[41].

فإن سأل سائل: أيُّ فرقٍ في كون التحدي بالهداية؟ أو بالفصاحة والبلاغة؟ أليس مآل القولين إلى إثبات العجز، وبالتالي إلى إثبات كون القرآن من عند الله؟

فنقول في الجواب: الفرق من ثلاثة جوانب:

1- القول بأن التحدي في البلاغة والفصاحة[42] لا يتلائم مع الغرض الذي أُنزل لأجله القرآن، فالقرآن كتاب هداية، أنزل لهداية الناس، والبلاغة من لوازمه وليست من أغراضه، قال تعالى: [شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القرآن هُدًى لِلنَّاسِ] (سورة البقرة: 185)، وكذا الحال في الكتب السابقة، قال تعالى: [وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ] (سورة آل عمران: 3-4) وقال: [يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ] (سورة النساء: 26). ثم إن القول بأن التحدي بالهداية يجعل كل العقائد والنظم والدساتير المخالفة لهداية القرآن محكوماً بالضلال والحيرة وعدم التلائم مع الحياة ويرميها في الهاوية. أما القول بعجز البشر عن أن يأتوا بفصاحة وبلاغة مثل القرآن فيبرز عدم قدرتهم في شيء لا يتعلق بالعقائد والمبادئ ونظم الحياة ودساتيرها، فأي من الوجهين أولى بالتحدي وأولى بإبراز عجز البشر فيه؟ الوجه الذي أنزل لأجله القرآن، أم غير ذلك؟

ولذلك تأتي الآية بعد التحدي في إثبات الألوهية: [فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ] (سورة هود: 14). قال أبو جعفر الطبري في تفسير الآية: "يقول تعالى ذكره لنبيه: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: فإن لم يستجب لكمْ من تدعون من دون الله إلى أنْ يأتوا بعشر سور مثل هذا القرآن مفتريات، ولم تطيقوا أنتم وهم أن تأتوا بذلك، فاعلموا وأيقنوا أنه إنما أنزل من السماء على محمد (صلى الله عليه وسلم) بعلم الله وإذنه، وأن محمدًا لم يفتره، ولا يقدر أن يفتريه = (وأن لا إله إلا هو)، يقول: وأيقنوا أيضًا أن لا معبود يستحق الألوهية على الخلق إلا الله الذي له الخلق والأمر، فاخلعوا الأنداد والآلهة، وأفردوا له العبادة[43].

والرازي يجيب عن سؤال: أَيُّ تعلّقٍ لقوله: وأَن لا إله إلا هو بعجزهم عن المعارضة؟ "والجواب فيه من وجوه: الأول: أَنه تعالى لما أَمر محمدًا صلَّى الله عليه وسلم حتى يطلب من الكفار أَن يستعينوا بالأصنام في تحقيق المعارضة ثم ظهر عجزهم عنها فحينئذٍ ظهر أَنّها لا تنفع ولا تضر في شيءٍ من المطالب البتّة، ومتى كان كذلك فقد بطل القول بإثبات كونهم آلهة، فصار عجز القوم المعارضة بعد الاستعانة بالأَصنام مبطلًا لإلهية الأَصنام ودليلًا على ثبوت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فكان قوله: وأَن لا إله إلا هو إِشارةً إِلى ما ظهر من فساد القول بإلهية الأَصنام.

الثَّانِي: أَنه ثبت في علم الأُصول أَن القول بنفي الشَّريك عن الله من المسائل الَّتي يمكن إِثباتها بقول الرسول (عليه الصلاة والسَّلام)، وعلى هذا فكأَنه قيل: لمّا ثبت عجز الخصوم عن المعارضة ثبت كون القرآن

حقًّا، وثبت كون محمّد (صلى الله عليه وسلم) صادقًا في دعوى الرسالة، ثم إنه كان يخبر عن أَنه لا إله إلَّا الله فلما ثبت كونه محقاً في دعوى النبوة ثبت قوله: أَن لا إله إلا هو.

الثالث: أَنَّ ذكر قوله: وأَن لا إله إلا هو جارٍ مجرى التهديد، كأنه قيل: لَمَّا ثبت بهذا الدليل كون محمدٍ عليه الصلاة والسلام صادقًا في دعوى الرسالة وعلمتم أَنّه لا إله إلا الله، فكونوا خائفين من قهره وعذابه واتركوا الإصرار على الكفر واقبلوا الإسلام، ونظيره قوله تعالى في سورة البقرة عند ذكر آية التحدي: [فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ] (الْبَقَرَةِ: 24).[44]

وأما في سورة البقرة: [فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ (24)] فقال النورسي:"إن تعقيب "إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا" بـ " فَاتَّقُوا" يقتضي في ذوق البلاغة تقديراً هكذا: إن لم تفعلوا ولن... ظهر أنه معجز، فهو كلام الله، فوجب عليكم الإيمان به وامتثال أمره... ومن الأوامر: يا أيها الناس اعبدوا لتتقوا النار فاتقوا النار، فأوجز فأعجز"[45]. وهذا القول كالتوضيح لقول ابن عباس: "فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا"، فقد بَين لكم الحق"[46].

وقال في سورة القصص: [فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50)] أي بعد التحدي وإفحامهم تعلن الآية أنهم يتبعون أهوائهم بغير الهدى التي لم يستطيعوا أن يأتوا بمثله.

2- القول بأن التحدي في البلاغة والفصاحة أو النَّظم لا يتلائم مع سياق آيات التحدي كما بيّنّا من قبل.

3- هذا التحدي الذي قلنا يشمل العرب والعجم بكل اللغات مباشرةً، أي: قائم في حال ترجمة القرآن، وليس خاصاً بالعربية وأهلها، أما القول بكون التحدي وقع من جهة الفصاحة والبلاغة فلا يشمل إلا فصحاء العرب، إذ من شروط التحدي عدم وجود مانع من المباراة، والعجم غير أهل لغة القرآن فكيف يُتحدوا مباشرةً؟

ولذلك يقول الدكتور البوطي: "فهذا الجانب من الإعجاز القرآني–أي مظهر جلال الربوبية– لا يتوقف إدراكه أو الشعور به على سعة علم أو ثقافة أو بلاغة. بل لا بدّ أن يتنبه إليه كل متدبر لتلاوة القرآن متأمل فيما يقرأ، مهما كانت ثقافته ودرايته، غير أنه قد لا يحسن التعبير عمّا يشعر به، ولا يقدر على تحليله وشرح أسبابه".[47] وقال ابن كثير: "والتحدي ببلاغة ألفاظه يخص فصحاء العرب، والتحدي بما اشتمل عليه من المعاني الصحيحة الكاملة –وهي أَعظم في التحدي عند كثير من العلماء– يعم جميع أَهل الأرض"[48].

ملاحظة: هذا الذي قلنا لا يمنع كون القرآن معجزا في جوانبه الأخر من الفصاحة والبلاغة وحسن نظمه وتأثيره على النفوس واشتماله على العلوم والإخبار عن الغيب وغيرها من الوجوه الكثيرة المذكورة، حتى عدّ السيوطي في (معترك الأقران) خمساً وثلاثين وجها من وجوه إعجازه؛ لأن القرآن وإن كان معجزا في كل جوانبه إلا أنه لم يَتحدَّ بكل ذلك، إذ فرقٌ بين الإعجاز والتحدي، وليسا مترادفين كما عوملا بذلك بل بينهما عموم وخصوص مطلق، فكل ما تحدى به معجِزٌ، وليس كل معجِز متحدى به.

والإمام الفراهي يوضح ذلك بقوله: "إن الإعجاز ليس من أغراض القرآن، بل هو من لوازمه، ألا ترى في كل ما خلق الله من حبة خردل بل من ذرة إلى السموات العلى كلها معجزة ولكن ليس شيء من خلقتها لغرض الإعجاز، بل لحكمة الله تعالى في خلقه، نعم إن عجز غيره عنها دليل على كونها من الله تعالى"[49].

ولذلك لما سئل بُندار بن الحسين الفارسي عن موضع الإعجاز من القرآن قَال: "هذه مسألة فيها حيف على المفتى وذلك أنه شبيه بقولك ما موضع الإنسان من الإنسان فليس للإنسان موضع من الإنسان بل متى أشرت إلى جملته فقد حققته ودللت على ذاته كذلك القرآن لشرفه لا يشار إلى شيءٍ منه إلّا وكان ذلك المعنى آيةً في نفسه ومعجزةً لمحاوله وهدى لقائله وليس في طاقة البشر الإحاطة بأَغراض الله في كلامه وأسراره في كتابه فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده"[50]

يقول الدكتور نعيم الحمصي في هذا الصدد: ومع مرور الزمن أضاعت كلمة الإعجاز عند بعض المؤلفين المتأخرين مدلولها الأصلي فنجد مؤلِّفاً وهو غياث الدين لطف الله (ت 1035هـ) يضع كتاباً في البلاغة سماه (الإعجاز في علم الإيجاز) فلا يتكلم فيه إلا على المعاني والبيان، ولا يبين العلاقة بين اسم تصنيفه وموضوعه، ولعل أكبر دليل على العلاقة بين فكرة إعجاز القرآن ووضع علم البلاغة العربية هو أن الإعجاز إذا أطلق يراد به البلاغة نفسها.[51]

وهناك من جمع بين الكلمتين في عنوان الكتاب مثلما فعل الدكتور قحطان الدوري في كتابه الذي أطلق عليه اسم (التحدي في آيات الإعجاز) فكل الآيات معجزة فأي فائدة في إضافة الآيات إلى الإعجاز؟ فمَن قال- مثلاً- (آياتُ الأحكام) أو (آياتُ القتال) فلا بأس؛ لأنها تخص مجموعة من الآيات؛ إذ ليست الآيات كلها في الأحكام، أو في القتال.

قد يقول قائل: القرآن الكريم يشترك مع غيره من الكتب المنزلة في الهداية، كما وصف الله تعالى التوراة بقوله: (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور) ووصف الإنجيل بقوله: (وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور) فالهداية صفة عامة لكل الكتب، لكنه لم يحصل التحدي بغير القرآن الكريم لما جعل الله تعالى فيه من بلاغته التي أبهرت العرب وأعجزت فصحاءهم.

فنقول: كما أن القرآن الكريم صالح للتحدي في كل وجه من وجوهه، ولم يتحدّ إلا بالهداية ولوازمها كما بيّنّا، فكذا الكتب المنزلة غير القرآن صالحة للتحدي بالهداية وغيرها إلا أنه لم يثبت ذلك؛ لأن تحدي الأمم السابقة كانت حسيةً، كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وتحول العصى إلى ثعبان وغيرها؛ وذلك لاختصاصها بأمة معينة ولا مقتضي لإبقاء التحدي، وأما تحدي القرآن الكريم فكان معنويةً، بناءً على أن القرآن الكريم إلى الناس كافةً، وليس إلى قوم معين، فما كان للناس كافةً وهو القرآن يتميز عن غيره من الكتب في التحدي لا في الهداية، فالهداية صفة عامة لكل الكتب، أما في التحدي فانفرد به القرآن وذلك لبقاء التحدي جيلاً بعد جيل، وعجزهم أمامه إلى قيام الساعة.

الاستنتاجات

وفي الختام توصلت إلى نتائج عدة ألخصها فيما يأتي:

1- ينظر إلى سياق آيات القرآن الكريم من ناحية سياق النص فقط، أما سياق الموقف الذي يرادفه المقام والحال فلا يتأتى ولا يدرك إلا حال مشاهدة المتكلم حال كلامه.

2- معرفة علم السياق لها أهمية كبيرة في فهم القرآن الكريم وكذا معرفة العلاقة بين مقاطع الآيات وارتباطها بمحور السورة.

3- إن سياق آيات التحدي في القرآن الكريم لا يؤيد كون التحدى في البلاغة والفصاحة.

4- هناك فرق بين الإعجاز والتحدي، وليسا مترادفين -كما عوملا بذلك- بل بينهما عموم وخصوص مطلق، فكل ما تحدى به معجِزٌ، وليس كل معجِز متحدى به.

5- القول بأن التحدي وقع في البلاغة والفصاحة لا يتلائم مع الغرض الذي أُنزل لأجله القرآن،

6- الوجه الذي تحدى به القرآن الكريم هو أن يأتوا بمثله في الهداية بكل جوانبها من التوحيد والنبوة والمعاد. أي فاتوا بسورة من مثله في الهداية بكل جوانبها من التوحيد والنبوة والمعاد، وبمثل هذه السور التي فيها الهداية إلى التي هي أقوم، أي عليهم أن يأتوا بتصورات وقيم أخر، لا يأتون بمثله، أي لا يقدرون على أن يأتوا على اعتقاداتهم وأحكامهم بمثل هذا القرآن، إذاً التحدي في أن الشرك وما يتعلق به من الانحرافات لا دليل يؤيده ويثبته مثل دلائل توحيد الله وهدايته.

7- هذا الوجه من التحدي يشمل العرب والعجم بكل اللغات مباشرةً، أي: قائم في حال ترجمة القرآن، وليس خاصاً بالعربية وأهلها،

الهوامش:

(1) مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (ت:395هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: اتحاد الكتاب العرب، ط: 1423هـ - 2002م، باب (السين والواو وما يثلثهما): 90/3.

(2) أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت: 538هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ط1، 1419هـ - 1998م، كتاب السين، 484/1.

(3) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار) الناشر: دار الدعوة، باب السين:465/1.

(4) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد، (ت 702هـ)، الناشر: مطبعة السنة المحمدية: 21/2.

(5) أثر السياق في النظام النحوي على كتاب (البيان في غريب إعراب القرآن، لابن الأنباري) للدكتور نوح الشهري: 79.

(6) قرينة السياق، للأستاذ: تمام حسان، بحث مقدم في الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد السنوي للكلية، دار العلوم، مطبعة الكتاب، القاهرة، 1993، ط1: 375.

(7) المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، د. محمد أحمد أبي الفرج، دار النهضة العربية، 1996م: 116.

(8) كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت: 170هـ)، المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، (حرف الحاء باب الثلاثي المعتل): 129/3، ومقاييس اللغة، (باب الحاء والدال وما يثلثهما): 28/2-29.

(9) المقدمة، لابن خلدون، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر: 527.

(10) الشيخ عبد الوهاب خلاف ذكر للإعجاز ثلاثة شروط: الأول منها التحدي أي طلب المباراة، والثاني والثالث ما ذكرناه، ينظر: علم أصول الفقه، لعبد الوهاب خلاف، مكتبة الدعوة الإسلامية 25 ونحن اقتصرنا على شرطين بناء على الفرق بين التحدي والإعجاز كما يأتي.

(11) فضائل القرآن، لأبي عُبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت 224هـ) تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير (دمشق - بيروت) ط: 1، 1415 هـ-1995م: 377.

(12) الرسالة، لأبي عبد الله محمد بن إدريس بن شافع بن عبد المطلب القرشي (ت 204هـ) المحقق: أحمد شاكر، الناشر: مكتبه الحلبي، مصر، ط1: 1358هـ/1940م: 50.

(13) الأضداد، لأبي بكر محمد بن القاسم بن محمد الأنباري (ت 328هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت- لبنان 1407هـ- 1987م: 2.

(14) بدائع الفوائد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت 751هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان: 4/ 9-10.

(15) التكميل في أصول التأويل، لحميد الدين الفراهي، حققه وخرجه: محمد سميع مفتي: 41-42.

(16) هو باحث وعلامة لغوي فرنسي ولد سنة: 1875م وتوفي سنة: 1960م، أسس مجلة (Interlingua) كان رئيساً لجمعية اللغوية الأسبق بباريس، ويعتبر كتابه (اللغة) بمثابة دراسة مرجعية متخصصة في البحث اللغوي، ينظر: ثقافة سلتيك: موسوعة تأريخية لجون توماس كوخ، سنة الطبع: 2006م: 1729، وينظر في نت: الموسوعة الحرة= (WIKIPEDIA).

(17) اللغة، لجوزيف فندريس Joseph Vendryes (ت 1380هـ) تعريب: عبد الحميد الدواخلى، محمد القصاص الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية: 1950 م 228.

(18) اللغة العربية معناها ومبناها، د تمام حسان عمر، عالم الكتب، ط5، 1427هـ-2006م: 39.

(19) الجامع الكبير - سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، أبي عيسى (المتوفى: 279هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ط2، 1395 هـ - 1975 م، أبواب التفسير، باب ومن سورة المؤمنون، وصححه الألباني: 180/5.

(20) جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000 م:327/9.

(21) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) دار الكتاب العربي - بيروت ط3، - 1407 هـ:253/1.

(22) أحكام القرآن، لأبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف «بابن الفرس الأندلسي» (المتوفى: 597 هـ) تحقيق الجزء الأول: د. طه بن علي بو سريح، تحقيق الجزء الثاني: د. منجية بنت الهادي النفري السوايحي، تحقيق الجزء الثالث: صلاح الدين بو عفيف، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ط1، 1427 هـ - 2006 م:228/1.

(23) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار الأنبار بغداد، ط1، 1409هـ-1989م: 227-228، والبيت لمحمد بن سعيد البوصيري (ت695هـ) ينظر تأليفه: بردة المديح، الفصل السادس، في ذكر شرف القرآن، من منشورات دار التراث البوديلمي: 16.

(24) الكشاف: 345/2.

(25) جامع البيان في تأويل القرآن: 89/15.

(26) كما يقول تعالى: [وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ] سورة النحل: 36.

(27) ينظر في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط36 نقلته باختصار: 1844/4.

(28) هذا التفسير أخذته من محاضرة صوتية مسجلة لناصر سبحاني.

(29) ينظر: في ظلال القرآن: 2244/4

(30) الأساس في التفسير، لسعيد حوّى (ت 1409 هـ) الناشر: دار السلام – القاهرة، ط6، 1424 هـ: 3108/6.

(31) هذا التفسير أخذته من محاضرة صوتية مسجلة لناصر السبحاني.

(32) تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: دار الكتب العلمية- لبنان- بيروت- 1422هـ - 2001 م ط1، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق 1- د. زكريا عبد المجيد النوقي 2- د. أحمد النجولي الجمل: 310/8.

(33) لزيادة التوضيح ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين بن علي الحربي، دار القاسم، الرياض، 1417-1996، ط1: 299-300.

(34) المصدر نفسه.

(35) جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ط1، 1420 هـ - 2000 م: 374/1.

(36) جامع البيان في تأويل القرآن، برقم (491): 373/1.

(37) ينظر: من روائع القرآن- تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، لمحّمد سَعيد رَمضان البوطي: مؤسسة الرسالة- بيروت: 1420 هـ - 1999م: 160.

(38) ينظر: (ته فسيرى سورةتى يونس) لناصر سبحاني ط2009ز: 210-225. مؤلف باللغة الكردية.

(39) تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1: 1365 هـ - 1946 م: 20/17.

(40) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني (ت: 1354هـ): الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990م: 301/11.

(41 ينظر: في ظلال القرآن: 1788/3-1794.

(42) قارنّا هنا بين الهداية، وبين البلاغة والفصاحة نظراً لرأي الجمهور وإلا فلا فرق في هذه المقارنة -في الجانب الأول والثاني- بين الفصاحة والبلاغة وبين قول من قال: التحدي وقع بتأثير القرآن على النفوس، أو في اشتماله على العلوم، أو في عدم الاختلاف فيه، أو في الإخبار عن الغيب، أو غير ذلك من الوجوه المذكورة.

(43) جامع البيان في تأويل القرآن: 261/15.

(44) مفاتيح الغيب– التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ): دار إحياء التراث العربي – بيروت1420هـ، ط3: 326/17.

(45) إشارات الإعجاز: 231.

(46) جامع البيان: 379/1.

(47) من روائع القرآن – تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، لمحّمد سَعيد رَمضان البوطي: موسسة الرسالة – بيروت: 1420 هـ –1999م: 160.

(48) البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: 774هـ) المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي ط1، 1408هـ – 1988م: 77/6.

(49) نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، لعبد الحميد الفراهي (ت: 1349هـ) الدائرة الحميدية، الهند،ط1، 2008م: 41، ودلائل النظام لعبد الحميد الفراهي (ت: 1349هـ) الدائرة الحميدية، الهند، ط1388،1هـ: 52.

(50) البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: 794هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ط1، 1376هـ – 1957م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه: 100/2.

(51) فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر، د نعيم الحمصي، مؤسسة الرسالة، بيروت –لبنان،ط2، 1400–1980م: 46.

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم خير ما نبتدئ به.

ثانيا الكتب:

1. أثر السياق في النظام النحوي على كتاب (البيان في غريب إعراب القرآن، لابن الأنباري) للدكتور نوح الشهري.
2. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد، ت 702هـ، الناشر: مطبعة السنة المحمدية 21/2
3. أحكام القرآن، لأبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف «بابن الفرس الأندلسي» (المتوفى: 597 هـ)
4. أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط: الأولى، 1419 هـ – 1998م.
5. الأساس في التفسير، لسعيد حوّى (ت 1409 هـ) الناشر: دار السلام – القاهرة، ط6، 1424 هـ.
6. الأضداد، لأبي بكر محمد بن القاسم بن محمد الأنباري (المتوفى: 328هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت – لبنان 1407هـ – 1987م.
7. البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: 774هـ) المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي ط1، 1408هـ – 1988م
8. بدائع الفوائد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، تحقيق الجزء الأول: د/ طه بن علي بو سريح، تحقيق الجزء الثاني: د/ منجية

بنت الهادي النفري السوايحي، تحقيق الجزء الثالث: صلاح الدين بو عفيف، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.
9. بردة المديح، لمحمد بن سعيد البوصيري (ت695هـ) من منشورات دار التراث البوديلمي.
10.تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – 1422 هـ – 2001 م ط1، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض.
11. التكميل في أصول التأويل، لحميد الدين الفراهي، حققه وخرجه محمد سميع مفتي.
12. ته فسيرى سورةتى يونس، مؤلّف باللغة الكردية لناصر سبحاني (ت1990م) ط2009ز، من دون اسم المطبعة.
13.ثقافة سلتيك: موسوعة تأريخية لجون توماس كوخ، سنة الطبع: 2006م.
14.جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ – 2000 م.
15.الجامع الكبير – سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، أبي عيسى (المتوفى: 279هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ط2، 1395 هـ – 1975 م، دلائل النظام لعبد الحميد الفراهي (ت1349) الدائرة الحميدية، الهند، ط1388،1هـ.
16.الرسالة، لأبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ) المحقق: أحمد شاكر، الناشر: مكتبه الحلبي، مصر، ط1: 1358هـ/1940م، شارك في التحقيق 1) د. زكريا عبد المجيد النوقي 2) د. أحمد النجولي الجمل، ط1، 1427 هـ – 2006 م .
17.فضائل القرآن، لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: 224هـ) تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير (دمشق – بيروت) ط: 1، 1415 هـ –1995 م.
18.فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر، د نعيم الحمصي، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان،ط2، 1400–1980م.
19.في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق بيروت، ط36.
20.قرينة السياق لتمام حسان، بحث مقدم في الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد السنوي للكلية، دار العلوم، مطبعة الكتاب، القاهرة، 1993، ط1.
21.قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين بن علي الحربي، دار القاسم، الرياض، 1417–1996، ط1.
22.كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

23.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) دار الكتاب العربي – بيروت ط3، – 1407 هـ.
24.اللغة العربية معناها ومبناها، د تمام حسان عمر، عالم الكتب، ط:5 1427هـ–2006م.
25.اللغة، لجوزيف فندريس Joseph Vendryes (المتوفى: 1380هـ) تعريب: عبد الحميد الدواخلى، محمد القصاص الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، 1950 م.
26.المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، للدكتور محمد أحمد أبو الفرج، دار النهضة العربية، 1996م.
27.المعجم الوسيط، تأليف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار) الناشر: دار الدعوة.
28.مفاتيح الغيب = التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ): دار إحياء التراث العربي – بيروت1420هـ، ط3.
29.مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (ت:395هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: اتحاد الكتاب العرب، ط: 1423 هـ = 2002م.
30.المقدمة، لابن خلدون، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر.
31. نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان لعبد الحميد الفراهي (ت1349) الدائرة الحميدية، الهند،ط1، 2008م.